له. إنّ «قميصَ الحريري» ليس إلا مَعْبَرًا إلى أحشاءِ سورية لتمزيقها وانتزاعِ عروبتها وتحويلِها إلى كيسِ أقليّات.

لقد استوقَفَنا تعبيرُ «اللحظة التاريخية» في «الإعلان،» والقولُ بأنّ الغرضَ منه هو تصليبُ الصمود الوطني الذي فشلَ النظامُ في بنائه. وفي اعتقادنا أنّ دور المعارضة يضاهي في أهميته دورَ النظام ـ أيِّ نظام ـ إنْ هي تمسّكتْ ببوصلتها الهادية من وطنيةٍ سوريةٍ وعروبيةٍ جامعة، وإنْ قَرَّ في وجدانها أنّ «اللحظة التاريخية» تتطلّبُ تحصينَ الوطن من الاختراقِ وتحديقَ العينِ في ممارسات النظام.

نرجوكم ألاّ تَسْمحوا لأحدٍ بمحاولةِ الضحك على الملائكة والادّعاءِ «أنّنا نناور مع الخارج كما ناوَرَ النظامُ وما انفكّ يناور.» إخوتَنا، أنتم خيرُ العارفين ـ وليس في هَذا أدنى تبرير ـ أنّ منطقَ الدولة الصرف يَسْمح بهامشٍ من التعامل، يتّسع ويضيق حسب الظروف الإقليمية والدولية. ولا ينطبق القياسُ ذاتُه على أيّ جماعات من مواطني هذه الدولة بحال من الأحوال. ثم الأهمّ أن تكون المعارضةُ رقيبًا حسيبًا على هامشِ تعاملِ الدولة هذا، منبِّهًا ومحذِّرًا، أو راضيًا وصامتًا. أي أنّ المنطق يقضي بأن تَلْجموا النظامَ عن توسيع الهامش، لا أن تقلّدوه. والقولُ إنّ خشيَتكم من صفقاتٍ قد يَعْقدها النظامُ هي ما دعاكم إلى التراصّ مع حلفائكم المعارضين إنْ هو إلا مقولةٌ لا تَصْمد أمام جَهْرِ كُثُرٍ منهم بأنّ المطلوب هو صفقةٌ، ولكنْ ليس مع النظام ـ وهي بالمناسبة غيرُ واردة ـ بل **معهم هُمْ**، وهم البديلُ المسبَّقُ الصنع، والمنتهزُ للّحظةِ التاريخية، والفاهِمُ لما يبغيه «الكبيرُ» بكلّ فروضِه ونوافلِه وسُنَنِه.

لو أنّ المسألة اقتصرتْ على تغيير وطني من الداخل، يَسْتبدل النظامَ بآخرَ مِنْ صُنْع سوري، ويُحِلُّ محلَّه كينونةً حاكمةً تَجْمع الوطنيةَ والعروبيةَ وطهارةَ اليد واحترامَ الإنسان، لكان لنا موقفٌ مختلف. أَمَا وأنّ المُحيقَ بنا هو مَنْ سَلَفَ وَصْفُ مبتغاه، فهنا تُرفعُ الأقلامُ وتجفّ الصُّحُف.

الإخوة الناصريون، أعضاءَ المؤتمر في سورية،

لكلِّ ما سبق، ولقناعتنا بصفاءِ سريرتكم الوطنية والقومية، وثقتِنا بثباتِ مرجعيتكم، فإنّنا نأمل في أنّكم إمّا أن تنسحبوا من هذا «الإعلان» أو أن تعدِّلوه بشكلٍ جذريٍّ وتطهِّروه من كل الحشويّاتِ السقيمة التي جعلتْ منه إعلانَ فتنةٍ لن يُفيدَ منها إلا الذين يتطلّعون إلى اليوم الذي لن يبقى في قلبِ العروبةِ النابض حجرٌ على حجر.

نحن في الانتظار، آملون.

أعضاء المؤتمر القومي العربي في الولايات المتحدة

واشنطن في ٢٠٠٥/١١/١٨

مناقشات

قضايانا والتدخّل الدولي

قرأتُ مقالَ السيدة أمينة النقاش، المُعَنْوَن: «ضدّ التيار، نعم للرقابة الدولية» (**الأهالي** ٢٠٠٥/١٠/٥). وقد لَفَتَ نظري أنّ هذا المقال جاء وسط شبه إجماع في أكثر من دولة عربية على ضرورة وجود مراقبة دولية في الانتخابات. وهذا لا يعني أنّ الشعبَ كلّه يريد الرقابة الدولية، بل يعني أنّ هناك مَنْ يريد ذلك، وهم **جزءٌ** فحسب من النخب العربية ذاتِ الاتجاهات السياسية المختلفة.

كما طَرَحَتْ صحيفة **المجتمع**، وهي صحيفةٌ إسلاميةٌ تَصْدر في الكويت (العدد ١٦٦٥، صفحة ٨)، أنّ هناك قوًى ليبراليةً تريد رقابةً دوليةً لإبعاد الإسلاميين.

وفي لبنان طالبتْ فئاتٌ مختلفةٌ بضرورة تحقيق دولي في مقتل الحريري.

وهذا كلُّه، في تصوُّري، ناتجٌ عن الأمور التالية: أولاً، عدم الثقة بالنفس؛ ثانيًا، عدم الثقة بالأجهزة المحلية والسلطات المحلية.

إنّ المطالبة برقابة دولية ليس أمرًا جديدًا، ولم نكن نحن العرب الذين اخترعناه. إنّه أمرٌ يعود إلى القرن السابع عشر عندما قررت الدولُ العظمى الخمسُ آنذاك أنّ ما يسمّى «منطقة الشرق الأوسط» منطقةُ قرار دولي، وأنّه لا يجوز فيها أن ينتصر منتصرٌ أو أن ينهزمَ منهزمٌ إلاّ بقرار دولي. ولذلك جرى العملُ لتكريس هذه الثقافة: ١ ـ من خلال التدخُّل العسكري والسياسي. ٢ ـ ومن خلال تربية جزء من النخب وبعض الأسر الحاكمة على هذه القناعة.

هذا وقد قرأتُ كتابَ **حصاد الفكر**، العدد ١٦١، وفيه ندوة بعنوان: «تدويل أزمات الشرق الأوسط وأفريقية، السلبيات والإيجابيات». وتساءلتُ:

١ ـ لماذا لا نكون نحن الرقباءَ على حكوماتنا؟ ٢ ـ ولماذا نريد أن نُثبتَ لشعبنا أنّنا ضعفاءُ، وأنّ الأجانبَ أشجعُ منّا وأكثرُ قدرةً على تحقيق العدل والعدالة؟ ٣ ـ وماذا يتبقّى للعملاء ولمثلّي الأنظمة الخانعة إذا قَبِلْنا كلَّ صفاتهم وتحمّلْنا كلَّ أساليبهم؟

وكنتُ أظنّ في الماضي أنّ سياسة «المطالبة بالرقابة الدولية» هي سياسة اليمين فقط. ولكنّني اكتشفتُ أنّها أيضًا: سياسةُ اليسار المنهار، وسياسةُ القوى الوطنية المهزومة التي تريد أن تَحْكم عبر القوى الأجنبية.

إنّ التوازن الدولي الذي ساد خلال وجود الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية، والذي كان يقنِّع السيادةَ بأهمية الاعتماد على الإقرار الدولي، لم يعد قائمًا. الآن هناك قوةٌ مسيطرة هي قوى إمبريالية فقط؛ وهناك الشعوب التي لا تلعب دورًا في ميدان القوى رغم قوتها.

ختامًا نقول: إنّ كل أعمال التدخُّل الدولي في العالم لم تُنْتِجْ ديموقراطيات بل أَنتجتْ ديكتورياتٍ وحروبًا أهلية.

ناجي علّوش (عمّان)